



رابطة العالم الإسلامي  
الأمانة العامة  
الإدارة العامة للمؤتمرات والمنظمات

## الإعلام والحوار الحضاري

إعداد

**الدكتور أسعد السحمراني**

أستاذ العقائد والأديان في جامعة الإمام الأوزاعي - بيروت  
أمين الشؤون الخارجية في اتحاد الكتاب اللبنانيين

مقدم إلى

مؤتمر مكة المكرمة الخامس عشر

**التحديات الإعلامية في عصر العولمة**

الذي تنظمه رابطة العالم الإسلامي

مكة المكرمة - المملكة العربية السعودية

٥ - ٧ / ذو الحجة / ١٤٣١ هـ

١١ - ١٣ / نوفمبر / ٢٠١٠ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## تمهيد

إن عنوان هذا البحث يضم ثلاثة مصطلحات هي: الإعلام، والحوار، والحضارة، وكل واحد من هذه المفردات يحتاج لوقفة وتحديد؛ لما لها من تأثير كبير في حياة الفرد والمجتمع.

وإذا كانت وسائل الإعلام قد حققت تطوراً سريعاً على شكل طفرات نوعية في السنوات الأخيرة فإن الإعلام قد فرض تحدياً يحتاج استجابات كي يوظف هذا التقدم في وجوه مفيدة في مسار حياة الأمم والجماعات والأفراد، لأن الإعلام كأية وسيلة ابتكرها الإنسان، أو قام بتطويرها، سلاح ذو حدين؛ إما أن يوظف في الخير والصلاح والصالح العام، أو أن يوظف في الهدم والإفساد والشر.

أما الحوار فإنه عنوان لفعاليات وأنشطة تعجّ بها المنتديات والمؤتمرات، وشاشات التلفزة، وصفحات الكتب والدوريات، وبرامج الإذاعات، ومواقع الشبكة البيانية (Internet)، لكن الحوار كي يكون مجدداً يحتاج إلى ضوابط وممارسات على مختلف المستويات.

وتبقى الحضارة أي ما تنجزه كل أمة في عالم الفكر والاكتشاف والاختراع، وفي أنواع الأدوات والمقتنيات، وهذا شأن إنساني فيه الكثير من المشترك، كما أن الحضارة كلما تقدمت كانت في صالح الإنسان المستخلف في الأرض تحقيقاً لسعادته، أو قد تكون في غير صالحه، لا بل سبباً لشقائه إن وظفت منجزات الحضارة في السيطرة، والاعتصاب، والهيمنة والنهب.

## وقفته مع المصطلح :

### الإعلام:

والإخبار والإنباء مصطلحات تدور حول دلالات متقاربة. وعند الراغب الأصفهاني:

"الإعلام: اختصّ بما كان بإخبار سريع، والتعليم: اختصّ بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه أثر في نفس المتعلم." (١).

وقال الراغب الأصفهاني: "خبر: الخبر؛ العلم بالأشياء المعلومة من جهة الخبر،... وأخبرت: أعلمت بما حصل لي من الخبر.. وقال الله تعالى: ﴿قَدْ نَبَأْنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ (التوبة: ٩٤)؛ أي من أحوالكم التي نخبر عنها" (٢).

وقال كذلك: "نبأ: النبأ خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظنّ، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة، وحقّ الخبر الذي يقال فيه نبأ أن يتعرّى عن الكذب... ولتضمّن النبأ معنى الخبر يقال: أنبأته بكذا كقولك أخبرته بكذا، ولتضمنه معنى العلم قيل: أنبأته كذا كقولك أعلمته كذا" (٣).

إن تداول الأخبار والخبرات، ونقل العلوم والمعارف، لا يكونون دون إعلام وإنباء وإخبار، وذلك لا يكون دون وسائل ووسائط، وبذلك ارتبط

(١) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق نديم مرعشلي، بيروت، دار الكتاب

العربي، سنة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، ص ٣٥٦.

(٢) الراغب الأصفهاني، م.س.، ص ١٤٢.

(٣) الراغب الأصفهاني، م.س.، ص ٥٠٠.

الإعلام بالوسائل. وقد ذهب هذا المذهب "المعجم العربي الأساسي" حيث جاء فيه: "إعلام: النشر بواسطة الإذاعة والتلفزيون والصحافة. ووزارة الإعلام: الوزارة المسؤولة عن إعلام الدولة، أي المعلومات التي ترغب الدولة بنشرها، ولذا فهي تشرف على الإذاعة والتلفزة والصحف" (١).

هذا التحديد تحديد سلطوي وتقليدي، لأن الإعلام بات يشمل وسيلة جديدة هي الشبكة البينية (انترنت)، ووسائل الإعلام منها ما هو حكومي قد يصح فيه ما قاله "المعجم العربي الأساسي"، وربما أصبح هذا الإعلام هو الأكثر عدداً وأوسع انتشاراً، وكل مالك لمؤسسة فرداً كان أم مؤسسة له مفاهيمه ومشروعه السياسي والاجتماعي والاقتصادي والفني، ويوظف هذا الإعلام في خدمة مشروعاته هذه وأغراضه.

وجاء في "معجم النفايس الكبير": "أعلمه الخبر وبالخبر: أخبره به.

... الإعلام: الإسراع في الإخبار، ومنه وسائل الإعلام، وهي مرئية ومسموعة ومقروءة" (٢).

تأسيساً على ما تقدم يكون الإعلام سبيلاً لنقل أخبار الحوادث ومجريات مختلف الشؤون في الأوطان والأمم في العالم قاطبة، ويهدف الإعلام إلى نشر أطروحاته وتسويقها من أجل صناعة رأي عام باتجاه تريده هذه الوسائل الإعلامية وتلك، ويصح القول: "إن الإعلام هو مصدر تزويد الناس بالأخبار والمعلومات كي يسهم ذلك في جلاء الحقائق، وتبيين

(١) المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، لاروس، تونس، سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص ٨٦٠، ٨٦١.

(٢) معجم النفايس الكبير، إشراف أ.د. أحمد أبو حاق، بيروت، دار النفايس، ط ١، سنة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ص ١٣٢٠.

الوقائع من أجل أن يساعد هذا الأمر في صنع الرأي والاتجاه تمهيداً لصنع القناعات.

وإذا كان لكل علم ميدانه الذي يفعل فعله فيه، فإن ميدان الإعلام هو العمل مع الإنسان، فالإنسان هو المحور في العملية الإعلامية فكراً ووجداناً حتى من الناحية المادية" (١).

لقد جاء البلاغ الإلهي في النص القرآني مؤكداً على أن استخلاف الإنسان في الأرض ترافق مع نعمة إلهية انفرد بها الإنسان هي أن الله تعالى قد علم آدم الأسماء كلها، وبعد أن علم آدم أصبح بإمكانه إعلام غيره وإخباره بما علم، وكان أمر الله تعالى له: "أنبئهم".

قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣١) (البقرة). وقال الله تعالى: ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ (٣٢) (البقرة).

إن علم آدم الأسماء هو الذي مكّنه بأن ينبئ الملائكة ويخبرهم ولو لم يكن عنده علم لما تمكن من الإنباء وإعلام الآخرين. والإعلام يقوم به من امتلك العلم، أما من جهل فإنه لا يستطيع الإعلام والإنباء، لذلك سلّمت الملائكة عند العجز عن الرد بسبب امتلاك آدم علم الأسماء الذي لا تجيده. وهذا أصل في الإعلام، فالعلم والصدق من مقومات حامل الرسالة الإعلامية، أما من كان جاهلاً ومحملاً بالشائعات والأوهام فإن ما ينشره يكون أكاذيب لذلك يكون الحوار محتاجاً لإعلامي عالم وصادق.

(١) السحمراني، أسعد، الإعلام أولاً، بيروت، دار النفائس، ط ١، سنة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م، ص ٢١.



## الحوار :

الحوار حاجة إنسانية ملازمة للإنسان منذ آدم الأول ، فالإنسان الذي يأنس بسواه من بني جنسه ، يكون تواصله مع ذاته حواراً داخلياً تأملياً ، وحواره مع غيره كلاماً وأقوالاً تحوي مواقف وآراء أو مفاهيم ومعارف ، والحوار أول سبل التقارب ، فالتلاقي والتعاون ، أو قد يكون سبباً للتباعد والنفور .

إن الحوار ضرورة بشرية كي يتعارف الناس من خلاله ، ويتفاهموا ، والغائية التي تحفز عليه هي التأسيس لعلاقات إيجابية بين المتحاورين توفر المناخات لعيش مستقر بين الناس .

والحوار هو تبادل الكلام بين طرفين مع التردد ، واحتمال التراجع من قبل أحد طرفي الحوار . عند الراغب الأصفهاني : " حار الماء في الغدير : تردد فيه ... والقوم في حوار : في تردد إلى نقصان وتردد في الحال بعد الزيادة فيها ، وقيل : حار بعدما كان ، والمحاور ، والحوار : المرادة في الكلام " (١) .

وقال ابن منظور : "الحوار : النقصان بعد الزيادة ، لأنه رجوع من حال إلى حال ، وفي الحديث : (نعوذ بالله من الحور بعد الكور) ؛ معناه : من النقصان بعد الزيادة ، وقيل : من فساد أمورنا بعد صلاحها ، وأصله من نقص العمامة بعد لفّها ، مأخوذ من كور العمامة إذا انتقض ليّها... وفي

(١) الراغب الأصفهاني ، م.س. ، ص ١٣٤ .

المثل: حور في محارة، معناه نقصان في نقصان، ورجوع في رجوع" (١).

إن البشر بحاجة لمراجعة أمورهم على مختلف المستويات، وفي مختلف الميادين، ولا تستقيم العلاقات، أو ينطلق مسارها بالشكر القويم إلا بعد مراجعة وحوار، وأخذ ورد في الكلام والأفكار.

"الحوار هو المراجعة في الكلام، أو الأخذ والرد بين شخصين أو طرفين، لكل منهما مفاهيمه أو أفكاره أو آراؤه أو مقترحاته، وتجادب أطراف الحديث بين طرفين أو أكثر يُهدف منه الوصول إلى لغة مشتركة، ومفاهيم متقاربة، وتشخيص موحدٍ إن أمكن للأشياء كلها، وللمشكلات كافة.

فالحوار لا تكون فيه معاندة، بل منهجه يستلزم أن يدخله الأطراف، وعندهم الجاهزية للتنازل أو للتراجع عما يبين لهم الآخرون عدم جدواه، أو الاستعداد للانتقال إلى ما يطرحه الآخر، إذا كان ما يطرحه محققاً في مواجهة باطلٍ ما" (٢).

والحوار المجدي هو الذي يقوم على العلم لأن الجهل لا يكون معه حوار بل تعصب وفئوية، كما أن الحوار يحتاج منهجاً يعتمد لأن الفوضى في تبادل الكلام دون تحديد للمنطلقات، ودون تحديد لمقاصد الحوار وغاياته، ودون تحرير لمحل الحوار، والمقصود بذلك تحديد موضوع الحوار مع وقف الاسترسال والتفريع، كل هذه أمور تأسيسية لحوار يوصل إلى الموقع الإيجابي.

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٢م، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين، القاهرة، دار المعارف، بدون تاريخ، ص ١٠٤٢.

(٢) السحمراني، أسعد، الإسلام والآخر، بيروت، دار النفائس، ط ١، سنة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص

كما أن الحوار لا يجدي إن كان من طرف واحد وبلا ضوابط، أو أن يكون مقروناً باللبس وعدم الوضوح والشفافية في الطرح، فهو بذلك يكون حوار مجموعة أشخاص أصيبوا بالصمم، ومثل هذا الحوار لن يكون له تأثير، ولا توظيف سليم، ولا ثمار تجني.

ويحتاج الحوار لمعايير تحدد شروط قبول الآخر، لأن الحوار في أسمى مقاصده إنما يروم تحقيق عملية قبول الآخر. وهذا القبول لن يكون إلا مع وقف العدوان والظلم واغتصاب حقوق الآخرين، والإكثار من متدييات الحوار ومؤتمراته لن تكون مفيدة ما لم تكن معايير التلاقي والقبول له محددة ومضبوطة.

أما المعايير لقبول الآخر والحوار معه عند المسلمين فقد أتت في نصوص تؤصل للقبول والحوار، أو تأمر بعدم القبول ووقف كل صلح أو حوار. قال الله تعالى:

﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوا مِنْ دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾﴾ (الممتحنة).

هذا ما يحتاج دعاة الحوار أن يتنبهوا إليه؛ إنه القبول أو الرفض. لأن "قبول الآخر وهو أساس ومبدأ يقوم على معايير وضوابط، وبالتالي يكون أمر القبول مرتبطاً بهذه المعايير، وبعد التعارف، والوقوف على ما هو عليه الآخر يكون النظر والموقف، والموقف سيكون إما القبول، وإما الرفض، وفي الحالة الثانية تكون المواجهة لعدوان هذا الآخر وتجاوزاته" (١).

(١) السحمراني، أسعد، م.س.، ص ٢٣.

وإذا كان السائد في أيامنا ما هو متعدد، ومنه ما هو مقبول، ومنه ما هو عدواني وينتهك الحرمات، فإن الحوار وتبادل الكلام والمجاوبة يكون مرة للتلاقي، وأخرى في إطار التصويب، وثالثة في إطار الممانعة والدفاع... إلخ.

### الحضارة:

الحضارة أو الحضارة عند ابن منظور: "الإقامة في الحضر. ... والحضر والحضرة والحاضرة: خلاف البادية، وهي المدن والقرى والريف، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار... والحضارة والحاضر: الحي العظيم أو القوم، وقال ابن سيدة: الحي إذا حضروا الدار التي بها مجتمعهم"<sup>(١)</sup>.

وفي معجم النفائس الكبير: "الحضارة: خلاف البادية، والمراد بخلاف البادية: الأمصار - الإقامة في الحضر - ومظاهر الرقي الفكري والفني والاجتماعي في المجتمعات. وحضارة الأمة: جملة مظاهر التقدم فيها"<sup>(٢)</sup>.

الحضارة هي إنجازات أمة في مختلف الميادين، وكل ما له علاقة بالإنسان وبالتقدم العلمي والتقني وهو ما يسمى المدنية. ويترك البحث لابن خلدون ليتحدث عن الحضارة ومجتمع الحضر، فإنه يقول: "ثم إذا اتسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفاه دعاهم ذلك إلى السكون والدعة، وتعاونوا في الزائد على الضرورة، واستكثروا من الأقوات والملابس والتأثيق فيها، وتوسعة البيوت، واختطاط المدن والأمصار للحضر، ثم تزيد أحوال الرفاه

(١) ابن منظور، م.س.، ٢م، ص ٩٠٧.

(٢) معجم النفائس الكبير، م.س.، ص ٣٩٧.

والدعة، فتجيب عوائد الترف البالغة مبالغها في التألق في علاج القوت، واستجادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في أنواعها من الحرير والديباج، وغير ذلك، ومغالة البيوت والصروح، وإحكام وضعها في تنجيدها والانتها في الصنائع في الخروج من القوة إلى الفعل إلى غاياتها، فيتخذون القصور والمنازل، ويجرون فيها المياه، ويعالون في صرحها، ويبالغون في تنجيدها، ويختلفون في استجادة ما يتخذونه لمعاشهم من ملبوس أو فراش، أو آنية، أو ماعون، وهؤلاء هم الحضرة" (١).

قبل الإبحار مع مصطلح الحضارة من المفيد أن يرد في البحث مصطلح الثقافة ويتم التعريف به، وبعدها تكون المقارنة، والثقافة في "لسان العرب": "ثقف الشيء ثقفاً وثقافاً وثقوفة: حدقه. ورجل ثقفٌ وثقفٌ وثقفٌ: حاذقٌ فهم... ويقال: ثقف الشيء وهو سرعة التعلم... وثقف... صار حاذقاً فطناً... وهو غلام لقن ثقف؛ أي ذو فطنة وذكاء، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه" (٢).

وفي "معجم النفايس الكبير": "الثقافة: أصل معناها الحدق والفتنة. العلوم والمعارف والفنون والآداب وشؤون الحياة التي يطلب الحدق فيها... وسميت ثقافة لأنها تثقف الإنسان وتقوم عقله وتفكيره وسلوكه" (٣).

الثقافة خصوصية في كل أمة والحضارة انجازات وثمار جهد الإنسان وإبداعه، وهي عامة يمكن تبادلها ونقلها من أمة إلى أمة. الثقافة تسمو وترتقي مع الارتباط بالأصول، والأصول والمبادئ فيها ثابتة راسخة،

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، بيروت، دار القلم، بدون تاريخ، ص ٩٥، ٩٦.

(٢) ابن منظور، م.س.، م، ١، ص ٤٩٣.

(٣) معجم النفايس الكبير، م.س.، ص ٢٠٠.

والحضارة تراكم في النوع والكم، وهي في خط تصاعدي يعتمد فيها اللاحق على السابق.

لقد طرح مالك بن نبي مفهوماً يربط بين الثقافة والحضارة قال فيه: "الثقافة إذن تتعرف بصورة عملية على أنها: مجموعة من الصفات الخلقية، والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه، فهي على هذا المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته.

وهذا التعريف الشامل للثقافة هو الذي يحدد مفهوماً، فهي المحيط الذي يعكس حضارة معينة، والذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر. وهكذا نرى أن هذا التعريف يضم بين دفتيه فلسفة الإنسان، وفلسفة الجماعة؛ أي مقومات الإنسان ومقومات المجتمع، مع أخذنا في الاعتبار ضرورة انسجام هذه المقومات جميعاً في كيان واحد، تحدثه عملية التركيب التي تجريها الشرارة الأولى عندما يؤذن فجر إحدى الحضارات" (١).

الثقافة هي الهوية، وتشمل بالنسبة للفرد والمجتمع والدين والفكر واللغة والآداب والعلوم والفنون والأعراف والتقاليد، فكل هذه الأمور المذكورة تعدّ مقومات الثقافة والهوية بالنسبة للفرد والمجتمع، وهذه الثقافة أمام التحديات تحفز الفرد والمجتمع إلى الاستجابة، وتشكل الاستجابات في إنجازات، ووجوه من التقدم والابتكار والاختراع والتطوير، وهذه تجمعها كلها مفردة حضارة. فالثقافة هوية راسخة، والحضارة إنجازات متحركة حراكاً سمته التقدم والتطور.

(١) ابن نبي، مالك، مشكلة الثقافة، دمشق، دار الفكر، سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ص ٧٤.

نخلص إلى القول: "الثقافة أمر ينطلق من ذات الإنسان، ويحمل معنى التقويم والتنقية، رُقياً بهذه الذات باتجاه معاني الخير والحق والعدل والجمال، وسائر القيم. والثقافة، في جوهرها، عملية إطلاق للطاقات باتجاه توليد وعي جمعي يشكّل الهوية التي تقود وتطبع الحضارة بطابعها، وهي عندنا العقيدة والنظرة إلى الكون، ومجمل المبادئ والأسس والقيم التي نؤمن بها ونلتزمها ونعمل على تطبيقها، وهي كل ما يميّز شخصية الأمة من لغة وفكر وفنون وعلوم وتقليد وأعراف"<sup>(١)</sup>.

إن الثقافة تقود الحضارة، وتضع لها الضوابط، والثقافة فيها القوانين الناظمة لمسار الحضارة، وهذه القوانين هي في حقيقتها منظومة قيمية تنظم حركة الانجاز الحضاري، وحركة التعامل مع الإنتاج الحضاري، وفق المعايير التي تحويها دينياً واجتماعياً ومثالياً. فالحضارة في دائرة الإسلام ومنظوماته القيمية تكون ثمارها واستخداماتها غير الحضارة في دائرة الفكر الليبرالي أو الماركسي، أو الفكر المادي الذي لا يعنيه سوى الكم والرقم.

بعد ذلك لا بد من تسجيل ملاحظة هي: إن الثقافات تكون بينها مواجهات وتناقضات، وفي أحسن الأحوال يحصل بينها تلاقح وقدر من التأثير، أما الحضارات فهي القابلة للنقل والتبادل، إنما الشرط الأساسي أن تخضع منجزات الحضارة عند نقلها من مجتمع لآخر إلى ثقافة الأمة التي تستخدمها وتستفيد منها، وهنا تكمن المشكلة. فهناك حالات - مثلاً - نجد فيها من ينقل البث الفضائي وأجهزته ومعه البرامج والإعلانات، وهذا مسلك وعر ويحوي مخاطر ستؤدي إلى مشكلات مع الهوية والانتماء والخصائص والخصوصيات.

(١) السحمراني، أسعد، ويلات العولمة على الدين واللغة والثقافة، بيروت، دار النفائس، ط ١، سنة

إن الحوار الحضاري من خلال الإعلام يحتاج إلى تسجيل الملاحظة التالية: "إذا كانت الأمم مختلفة الشخصيات والمقومات الحضارية، فإن القضايا الإعلامية المكوّنة للرأي العام تكون مختلفة، وفي هذه الحالة لا يصحّ النقل والاقْتباس الحرفي، طبعاً لا مانع من الاطلاع والاستفادة مما عند الآخرين، لكن إذا تمّ النقل الحرفي فهذا الأمر عندها يدخل في باب الإعلام المتناقض مع شخصية الأمة، وهذا ما يُنتج الضلال، ويترك ردّات فعل في غير الصالح العام"<sup>(١)</sup>.

### هل الإعلام الغربي يقدم فضاءً للحوار؟

إن الإعلام الغربي بمعظمه لا يؤمن فضاء مناسباً لإطلاق الحوار الحضاري أو سواه مع العرب والمسلمين، وربما مع معظم دول آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية. فهذا الإعلام ينطلق من رحم ثقافي حاضن له تختلف قيمه مع قيم العرب والمسلمين، وكثيراً ما تكون متناقضة، وأحياناً - وهذا السائد إلى حد كبير - تزور الحقائق، ولا تلتزم الصدق ولا الموضوعية، ولا تحترم الخصائص ولا حقوق الآخرين وخصوصياتهم، وهذا ما يدفع إلى التوتير، وردّات الفعل، والتدابير والخصام، وكل ذلك يصبّ في غير مصلحة مسيرة حوار ضروري من أجل استقرار العلاقات الدولية.

إن الإعلام على المستويين الرسمي أو الأهلي؛ أي الذي يملكه أفراد أو مؤسسات خاصة لا يقوم بعمله مبتغياً "التعارف" كما وجه الإسلام في الآية الكريمة: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: ١٣). ولا يجده المتابع له وهو يطرح الأمور بغرض جلاء الحقائق، ونقل المجريات كما

(١) السحمراني، أسعد، الإعلام أولاً، م.س.، ص ٢٤.



كانت، ولا هو يوظف طاقاته لتحقيق التعاون بين الأمم والشعوب من أجل سعادة الإنسان وهناءة الشعوب، وإنما هو إعلام في غالبته القصوى مرتبط بسياسات، ومشروعات للهيمنة والتسلط تحت مسميات عديدة، هذه السياسات من العولمة إلى الاتفاقات غير المتوازنة، والمواثيق المعطلة، إلى الاستعمار والاحتلال والاعتصاب، كلها تلتزم استراتيجيات سياسية وفكرية واقتصادية ومالية واجتماعية وتربوية، ومعظمها تحفزها أطماع وحالات من الجشع، كما أنها تعمد إلى مقاصدها من خلال التلاعب بعقول الناس في الأمم المستهدفة.

إن هذه المخرجات الإعلامية تعوّق الحوار، وتقطع السبل إلى التواصل، وهذا أمر يشكو منه غربيون يقلقهم هذا الخطاب الإعلامي من بلدانهم لأنه خطاب يشوش الحقائق ويزرع العداوة. قال هيرفي بورج رئيس الاتحاد العالمي للصحافة الناطقة بالفرنسية، والرئيس السابق للمجلس الأعلى للسمعيات والبصريات في فرنسا: "خطر هو اليوم هذا الخلط الذي يقوم به الخطاب الإعلامي الغالب بين العرب أجمعين والإرهابيين المرتبطين بين لادن، بل هو خلط بين المسلمين جميعهم والأصوليين الذي يأترون له. وليس هذا الخطر - ضرورة - ناتجاً عن إدارة مقصودة أو عن قرار يقضي بالتلاعب بالرأي العام، أو قل انقلاباً إعلامياً يحلو للبعض التشهير به، فالحقيقة أبسط من ذلك، إذ أن وسيلة الإعلام انعكاس لرأي عام، وهي تستجيب أول ما تستجيب لما ينتظره منها ذلك الرأي العام، وهو أن الهيئة الاجتماعية برمتها ترفض القول الناشز زمن الحرب.

...والأيديولوجيا هي التي تنجز - بخطابها المحسوس والرمزي معاً- تحويل القريب إلى غريب، والأخ الإنساني إلى خطر محتمل، والجار المسالم إلى قوة شرسة تهددنا"<sup>(١)</sup>.

الذي تمّ ذكره تشخيص لواقع حيث الرأي العام في الغرب يمارس ضغطاً على الإعلام كي يصنّع له خطاباً يرضي الأيديولوجيا عنده، هذه الأيديولوجيا التي تخلط بين الإرهاب وبين الإسلام والمسلمين والعرب، ولهذا الغاية ترسم خيالات أهل الأقلام عندهم هواجس لأخطار وهمية مصدرها الآخر العربي والمسلم.

يتصرف الغرب حضارياً وأمريكاً ملحق أوروبي حضارياً بناء لوهم مفاده أن الحضارة واحدة، والاقتصاد واحد، والسياسة واحدة، والنمط النموذج الواجب اعتماده هو ما يسود عندهم، ونمطهم هو النموذج الصحيح فمن اتبعه كان حضارياً وإلا يكون متخلفاً ومتوحشاً إلى غير ذلك من النعوت الخشنة المقرونة بنظرة استعلائية تجاه الآخرين.

لقد عبّر عن هذه النزعة أرنولد توينبي منتقداً الموقف الغربي، حيث قال: "وما نظرية وحدة الحضارة هذه إلا رأي خاطئ تردّي فيه المؤرخون الغربيون المحدثون تحت تأثير محيطهم الاجتماعي؛ وأوحى به منظر الحضارة الغربية الخدّاع، إذ استطاعت في العصور الحديثة أن تلقي شبكة نظامها الاقتصادي على جميع أنحاء العالم.

(١) بورج، هيرفي، الحوار الثقافي العربي الأوروبي: متطلباته وآفاقه، في: وقائع المؤتمر العربي الأوروبي للحوار بين الثقافات، باريس (١٥-١٦) / ٧/٢٠٠٢، ص ٨٥.

وتلا توحيد العالم اقتصادياً على أساس غربي، توحيداً سياسياً إلى نفس المدى تقريباً وعلى نفس الأساس الغربي... وإنه وإن كانت هذه حقائق ملفتة للنظر، إلا أن اتخاذها دليلاً على وحدة الحضارة، رأي سطحي، لأنه وإن اصطبغت المصورات الاقتصادية والسياسة بالصبغة الغربية إلا أن المصور الثقافي ما يزال في جوهره على حاله... على أننا مع التجاوز عن الأوهام التي ترتبت على نجاح الحضارة الغربية مادياً على نطاق عالمي، نجاح قاد إلى الفكرة الخاطئة القائلة بوحدة الحضارة بما تتضمنه من افتراض نهر واحد للحضارة وليس إلا، وهو الغرب، وإن جميع ما عداه إما روافد له، أو ضائع في رمال الصحراء، فإن لهذه الفكرة ثلاثة جذور:

الأول: وهم حب الذات.

الثاني: وهم الشرق الراكد.

الثالث: وهم التقدم كحركة تلتزم خطأً مستقيماً<sup>(١)</sup>.

هذا التشخيص الذي عرضه أرنولد توينبي للمفاهيم الغربية من زعمهم أن الحضارة واحدة، إلى اتهام الشرق بأنه راكد لا حراك حضاري فيه، إلى حالة الاستعلاء التي تسيطر عليهم وصولاً إلى الادعاء بأنهم المتحضرون الوحيدون دون الناس، كل هذه وغيرها كثير تشكل عقبات كأداء في طريق أي حوار حضاري في إطار النشاط الإعلامي أو سواه.

يضاف إلى ذلك أن قوى غربية وأنظمة حكم يتعاملون مع المسلمين والعرب وكثيرين غيرهم بعقلية نفعية، يضاف إليها خيالات تتشكل في "تصورات احتقارية كاريكاتورية، وتحاليل تبسيطية اتهامية حيرى، وذلك ما يبعث وضعية الصدام التي نحن فيها.

(١) توينبي، أرنولد، مختصر دراسة للتاريخ، ترجمة فؤاد محمد شبل، راجعه أحمد عزت عبد الكريم، القاهرة، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، ط ١، سنة ١٩٦٠، ج ١، ص ٥٩ وما بعدها.

...وعلى غرار ما جرى زمن الحرب الباردة مع تصوير الاتحاد السوفياتي في الاستديوهات الأمريكية، فإننا سنشهد عما قريب أخلاقاً تتوالى سنة بعد سنة تصور البلدان العربية تصويراً مشيناً، وستظهر مسلسلات تعكس حواراتها تخوفاً من الجاليات العربية، وسيوجد فيض من الإعلام المنتظم بشكل حزمة من النقد الضمني الموجه ضد البلدان العربية" (١).

إن المتابع يرى كيف تنشط الولايات المتحدة الأمريكية، "لتعميم نموذجها في التكوين الفوضوي اللاأخلاقي للأسرة وللعلاقات بين الناس، ناهيك عن الإفساد من خلال فنونهم الهابطة، وتقاليدهم البائسة التي وصلت إلى حدّ الدعوة إلى عبادة الشيطان والتقرب إليه كما هو معلوم، ومن نماذج ذلك تشجيع مطاعم الوجبات السريعة وما تفعله في تفكيك الأسرة وضرب الترابط بين أفرادها" (٢).

تأتي بعد ذلك مخرجات "هوليوود" من الأفلام، ومعها محطة "فوكس نيوز" التي يملكها ويشرف عليها القس المتصهين بات روبرتسون، وغير ذلك من إعلامهم الذي يصور الإسلام على أنه إرهاب، والمسلمون بأبشع الصور.

هذا دون أن يغيب عن البال ما تناقلته الصحافة الدانمركية من رسوم كاريكاتورية تنال من النبي صلى الله عليه وسلم، وكيف بررت السلطات عندهم الأمر بأنه حرية إعلامية علماً أن ذلك يتعارض مع مواثيق حقوق الإنسان، وزاد في البلّة طيناً ما فعلته المستشارية الألمانية ميركل مؤخراً عندما كرّمت الرسام الذي خط ذلك الكاريكاتور. فهل يتيح هذا التصرف مجالاً للحوار؟

(١) بورج، هيرفي، م.س.، ص ٨٦.

(٢) السحمراني، أسعد، ويلات العولمة على الدين واللغة والثقافة، م.س.، ص ١٩.

لقد شعر المنصفون في الغرب بما يخلّفه هذا الإعلام الموظّف ضد المسلمين والعرب من حالات التوتير، وتعطيل أي حوار، ومنهم السويدي انجمار كارلسون الذي قال: "انتبه السياسيون ووسائل الإعلام في الغرب غداة انهيار الكتلة الشيوعية إلى القيمة التسويقية للإسلام كخطر جديد يهدد الغرب. فظهر موجات وراء موجات من المقالات الصحفية والكتب والبرامج التلفزيونية، تتلخص موضوعاتها في (الخطر الأخضر) و(الأصولية العالمية) و(التحدي الإسلامي) و(سيف الله) و(الإسلام ضد الحداثة) و(الانتفاضة العالمية)، وفي هذه المواد لاحظنا أن المؤلفين والمعدّين يتعاطون مع العالم الإسلامي ككتلة واحدة... كان هؤلاء المؤلفون يساؤون بصورة مباشرة أو غير مباشرة بين الأصولية والتعصب وينتهون إلى نتيجة تبسيطية مفادها هذا هو الإسلام الحقيقي. وبنفس المنهج كانوا يماهون بين العالم العربي والعالم الإسلامي" (١).

هنا تكمن المشكلة التي تجعل الحوار الحضاري غير متاح، والتي تجعل الإعلام الغربي في معظمه إعلاماً مشحوناً بالأيديولوجيا العدائية ضد الإسلام، وضد العرب والمسلمين، وتجعله إعلاماً معوقاً للحوار والتواصل، لا بل هو إعلام يولّد التنافر والخصام، وهو إعلام غير موضوعي ولا صادق عندما يعمم التهم، ويطلقها دون سند مجافياً الحقيقة، وبعد كل هذا كيف سيكون حوار حضاري من خلال الإعلام؟ إن الإعلام الغربي يصور العربي والمسلم قاتلاً وإرهابياً وينعت الإسلام بذلك.

(١) كارلسون، انجمار، الإسلام وأوروبا: تعايش أم مجابهة، ترجمة سمير بوتاني، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط ١، سنة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ص ٢٧.

لقد عرض انجمار كارلسون في كتابه الواقعة التالية: "تعتبر رواية (الحاج) للكاتب الأمريكي ليون يوريس مقارنة أدبية لفهم الشخصية العربية تتجاوز أقصى حدود العنصرية المكشوفة... ولا يترك الكاتب يوريس أية كليشة عنصرية ممكنة إلا ويستخدمها في روايته. فعرب فلسطين مجرد نفر من الفقراء الجهلة يفتقرون تماماً للحيوية أو لحسن المبادرة الشخصية. وتغلب عليهم الطباع العنيفة والخشنة، وتشيع في أوساطهم الميول للتطرف والشذوذ الجنسي. إنهم باختصار في نظر هذا الكاتب الأمريكي: رعا ع متفسخون، متوحشون، يستولي عليهم دين جرّدهم من كل طموح شخصي فيما عدا قلة قليلة مستبدة متغترسة تقود بقية الرعا ع كقطيع من الأغنام، إنهم مجتمع مجنون" (١).

ونترك التعليق لصحيفة صهيونية هي "جيروزاليم بوست" التي جاء فيها حول هذا الكتاب: "إنه يجعل متطرفاً يهودياً مثل مائير كاهان يحمر خجلاً".

إن هذا الفكر العنصري الذي صاغه قلم كاتب أمريكي هو نموذج لأدبيات كثيرة انتشرت وتنتشر في الغرب في أكثر من بلد، ويتناقضها الإعلام دون ضوابط ولا احترام لحقوق دينية أو اجتماعية أو قيمية، لا بل يتبجح بعضهم بها مستهتراً بكل القيم.

يذكر المتابعون تلك الدعاية المقيتة لعصير "كوكا كولا" عام ١٩٩٨ عندما نشروا إعلاناً عبارة عن ستارة تغطي الحجر الأسود في الكعبة المشرفة عليها اسم الشركة (coca cola) وأمام الإعلان فتاة مسلمة تصلي وتسجد أمام شعار الشركة.

(١) كارلسون، انجمار، م.س.، ص ٢٦.

كما أن الإعلام الغربي قد اختزل الوطن العربي "في نمطية ضيقة، فهو مجرد صحراء جرداء تختزن في باطنها بحراً من البترول ويسكنه قوم لا توحى ملامحهم إلا بكونهم إما إرهابيين جناء، وإما شيوخاً أثرياء مفرطي البدانة يلهون بإسراف وسط راقصات شرقيات يتمايلن ويهززن أردافهن. حتى ديانة العرب (الإسلام) لم تسلم من هذا التحقير، فحين أراد هؤلاء الرسامون التعبير عن الارتفاع الكبير في أسعار النفط لمصلحة المنتجين، عمدوا إلى تصوير المؤذنين للصلاة واقفين على المآذن وهم يتلقون آخر أخبار انهيارات أسعار الأسهم في البورصات العالمية بدلاً من كلمات الآذان"<sup>(١)</sup>.

إذا كان الإعلام الغربي يتداول مثل هذه الصورة النمطية عن العربي وعن المسلم، فهل مثل هذه التصرفات التحقيرية تتناسب مع المواثيق الدولية التي تنص على حرمة الإنسان وحقوقه؟ وهل يمكن أن تنطلق عملية الحوار في مثل هذه المناخات؟

إن العولمة التي هي هيمنة، واختراق للمنظومات القيمية للأمم، ومحاولات لغزو الهويات الثقافية للشعوب، وهذا الغزو المستتر تحت ستار العولمة، وهي مشروع استعماري يريدون من خلاله تحقيق القيادة المنفردة للعالم، وهي ما يسمى: الأحادية القطبية. والعولمة هذه غير العالمية التي هي حاجة، وأساسها إقرار بالتنوع، وهي دعوة للتعاون بين الأمم مع احترام الخصائص والخصوصيات، وهي في جوهرها تبادل لمنجزات الحضارات، ولقاء حول المشترك الإنساني هذا مع احترام قيم الخير والحق والعدل والجمال.

(١) كارلسون، انجمار، م.س.، ص ١٤.

لقد دفعت هذه العولمة إلى ردات فعل عند الأمم ضد الغرب، وردات الفعل هذه كانت في الغرب كما كانت في العالم الإسلامي والأمة العربية، ومواقع أخرى في العالم.

يأتي بين من تحدثوا عن هذه المسألة الإيطالية فرانشسكاماريا كوارو، وهي أستاذة الحضارة والآداب العربية في مدينة نابولي، والتي قالت: "إن العولمة التي نحيها، تحاول أن تسيّر الثقافات ونظم العيش في اتجاه التنميط، مما خلف ردود فعل رافضة، ومن ذلك جاء البحث عن توثيق العرى التي تشدّ كلاً منا إلى هويته الثقافية، وأن يجد المرء مبتغاه في فكره" (١).

إن تمسك الأمم بهويتها الثقافية في مواجهة التنميط الذي تحاوله القوى الغربية باسم العولمة، قد عطّل الحوار. هذا ما قرره فرانشسكاماريا كوراو قائلة: "ما أضرب بمحاولات البدء في الحوار وعطّله، حملة قادتها الولايات المتحدة الأمريكية تبغي من خلالها تلميع صورتها لدى الأطراف المقابلة لها. بينما يتساءل الناس في هذا البلد عن السبب الذي يجعل هذه التشكيلة الواسعة من الدول والأفراد تكنّ كرهاً مقيتاً لبلدهم، تقوم الطبقة الحاكمة بالترويج لحملة توزيع الغذاء على الشعب الأفغاني، وكذلك ترجم هذا البلد بالقنابل بغية ضرب الإرهاب" (٢).

لقد طرح الشكوى نفسها هوبير فيدرين وزير خارجية فرنسا الأسبق حين أعلن بأن المشكلة مع الولايات المتحدة الأمريكية هي أنها تسعى للتنميط الثقافي، ولا تحترم هويات الأمم؛ قال: "ما هو إذاً هدفنا الحقيقي؟

(١) في: الحوار الثقافي العربي الأوروبي: متطلباته وآفاقه، م.س.، ص ١٤٥.

(٢) في: الحوار الثقافي العربي الأوروبي: متطلباته وآفاقه، م.س.، ص ١٤٨.



إنه المحافظة على الهويات الثقافية في العالم أجمع ، وبالتالي على تنوع هذا العالم. يقلق الأمريكيون من قيام حالات الاحتكار عندما تفسد المنافسة في سوقهم الداخلي ، كما حصل مع شركة ميكروسوفت. والحال إن الولايات المتحدة في صدد التحول ، على صعيد الصناعات الثقافية الجماهيرية ، إلى ميكروسوفت على المستوى العالمي ، تشكل الثقافة والمنتجات الثقافية مصدر خلاف رئيسي مع الولايات المتحدة سواء داخل منظمة التجارة العالمية أو منظمة التعاون والتنمية ، أو فيما يخص البلدان المرشحة لدخول الاتحاد الأوروبي. المؤكد أننا نطرح حول قضية التنوع الثقافي في العالم سؤالاً كبيراً جداً يتخطى اللغة والثقافة الفرنسيين ، إنها أحد أكبر معارك الغد" (١).

يعود السؤال مجدداً: إذا كان الإيطالي والفرنسي وهو غربي وأطلسي يطرح مثل هذه الشكوى من العولمة/الأمركة ، وضرورة مواجهتها حفاظاً على الهوية الثقافية ، فلماذا لا يكون الأمر نفسه عند المسلم والعربي الذي يشهد عدواناً سافراً على هويته ودينه ومقدساته وأرضه واقتصاده وأمنه ووحدته الوطنية؟ وهل يمكن أن يكون حوار حضاري من خلال إعلام يحمل مشروعاً فكرياً ينكر الآخر ويعمل لغزوه ، والعدوان على كل ما يخصه؟

إن الإعلام كان ولا يزال في رأس قائمة الوسائل الأمريكية لبث الدعايات ، والتضليل ، والكل يعلم أن الولايات المتحدة أصدرت قانوناً بعد ٢٠٠١/٩/١١ يبيح الكذب في الإعلام من أجل تحسين صورة

(١) فيدرين ، هوبير ، فرنسا ومسار العولمة ، ترجمة جبور الدويهي ، بيروت ، دار النهار ، ط ١ ، سنة ٢٠٠١ ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

الولايات المتحدة، أو من أجل تحقيق مصالحها الاستعمارية. فالإعلام الأمريكي خاصة، والغربي في غالبه ينتج منه معوّقات للحوار، وإن استخدام الإعلام بأسلوب ومنهج يبعدانه عن منظومة قيمه الإنسانية ومبادئه الأخلاقية أضحى عملاً منظماً، وتقف الولايات المتحدة الأمريكية في طليعة الدول التي خرقت قوانينها الوطنية والتزاماتها الدولية وتجاوزتها في هذا الميدان. وقدمت الحروب التي شنتها الولايات المتحدة خارج حدودها منذ الحرب العالمية الثانية ولغاية اليوم نماذج صارخة لمدى التجاوز المتعمد الذي مورس من أجل أن توظف الدعاية للحرب، والإعلام بشكل عام، في إطار أهداف السياسة الرسمية<sup>(١)</sup>.

هذا الإعلام الذي يسوّق سياسة استعمارية لا يصلح ميداناً للحوار، وإذا أراد الغرب حواراً حضارياً من خلال الإعلام، فإن ذلك يوجب إعادة نظرٍ في المادة الإعلامية، وأساليب عرضها.

### هل المسلمون والعرب جاهزون للحوار الحضاري من خلال الإعلام؟

إن هذا السؤال يعبر عن إشكالية كبرى تحتاج وقفة تأمل مع الذات قبل التوجه لمحاورة الآخر الغربي أو الأمريكي أو سواهما. وإن المتابع يجد أن الكلام عن الحوار ومؤتمراته ومراكزه وأقسامه في الجامعات، والكلام عن الوسطية ومؤتمراتها ومنتدياتها ومراكزها، قد كثر في العقد الأول من هذا القرن الحادي والعشرين، وتحديدًا بعد أحداث ١١ أيلول/سبتمبر ٢٠٠١م، وكأن هذه الفعاليات جاءت أحياناً عملاً تبريرياً من قبل بعض الجهات أو الأفراد أو المؤسسات للقول للأمريكي والأطلسي والأجنبي.

(١) ياسين، صباح، الإعلام: النسق القيمي وهيمنة القوة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، سنة ٢٠٠٦، ص ٣١.

لكن هذه الفعاليات تحت مسمى الحوار الحضاري أو الديني أو الإعلامي أو الوسطية لم تغيّر التغيير المطلوب. وكما سبق القول لا تزال صورة العربي والمسلم هي هي في الإعلام الغربي، وفي كتاباتهم عموماً، ولا تزال النعوت الخشنة تنهال ضد المسلمين والعرب، وضد الإسلام والعروبة. ليس هذا فحسب، وإنما لا تزال عمليات الغزو والاحتلال والاعتصاب سائرة في طريقها.

إن أحداً لا ينكر أهمية الإعلام في تصحيح الصورة المغلوطة التي نشرها بعضهم عن الإسلام سواء من الأعداء والخصوم، أو من أبناء الصف الذين حملوا مفاهيم ملتبسة، وتأسس فكرهم من مفاهيم عمادها الغلو، وتعيش عند صاحب أفق ضيق. أو أن عدداً ممن تصدوا للحوار فعلوا ذلك بمبادرات فردية متناسين قاعدة الشورى ﴿وَأْمُرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: ٣٨) كي يمارسوها قبل الأقدام على عمل كبير كالحوار. وفريق طرح عناوين للحوار ومراكز وملتقيات من موقع الضعف، والحوار يكون بين ندين، وأهم قواعد الحوار أن يكون كل منهما قد اعترف بالآخر. أما الحوار الذي يقوم من طرف واحد، أو بين ضعيف لا مشروع له، ولا مكنة أو حضور وقوة، وبين متغطرس يزعم أنه شعب مختار أو أنه دولة مختارة أو أمة متفوقة، فإنه حوار ضعيف مع ذاته لا يصغي إليه أحد، والدليل على هذا الكلام أن الكثير من مقررات المؤتمرات وتوصياتها، وعدداً من نصوص المواثيق وموادها لا تزال حبراً مسطراً على ورق، أو أنها محفوظة على أقراص مدمجة (C.D.) في الحواسيب الآلية، ولم تكن لها بصمات تذكر.

وإذا خرجت بيانات وتوصيات من ملتقيات أو جلسات حوار إعلامي فإنها ستجد سداً أمامها هو الإعلام الأمريكي والغربي الذي في مفردات خطابه ما يجعل الثقة به مفقودة، لا بل يؤسس للروح العدوانية وردات الفعل.

والحقيقة هي أن "المغالطات المهنية والسياسية في الموازنة بين متطلبات الأمن الأمريكي، وقضايا الديمقراطية وحقوق الإنسان، قد قادت الإعلام الأمريكي في مخاطبته شعوب العالم إلى الوقوع في مأزق الحقيقة والمصادقية. ولم يعد الأمل لمستقبل مشرق يتوافق مع الواقع السلبي للعلاقة بين أمريكا والكثير من شعوب العالم... إن الصدمة التي ولّدها الإعلام الأمريكي بتعامله مع تلك القضايا، قد ولّدت تشاؤماً مفرطاً في إمكانية صياغة عالمٍ تسوده العقلانية والمصالح المشتركة... تراكت بسبب مواصلة سياسة التوسع والهيمنة الإمبراطورية الأمريكية بشهية لا حدود لها"<sup>(١)</sup>.

هذه الاتجاهات الإمبراطورية تضع الولايات المتحدة في حالة صدامية مع الآخرين في مختلف الميادين الفكرية والسياسية والأمنية والاقتصادية، ومع المسلمين والعرب خاصة لأن مشروعها الاستعماري المسمى: الشرق الأوسط الجديد يستهدفهم بشكل أساسي.

وأمام التحديات الكبرى يجد المتابع أن الإعلام العربي والإسلامي مقصّرٌ في تصنيع المادة الإعلامية التي ترد التحديات وتستقطب المتلقي، وأبرز عامل هو الجانب السلطوي حيث توجه أنظمة الحكم الإعلام الوجهة التي تريدها، بالمقابل هناك إعلام وإعلاميون يبالغون في الحديث عن الحريات وعن الديمقراطية، ويدعون الجرأة في طرح المواقف، لكن الحصيلة لا تنم عن ذلك.

وهناك معوقات أخرى هي أن الإعلام الإسلامي والعربي لم يستطع حتى الآن امتلاك وكالة أنباء عالمية كبرى ينتشر العاملون فيها في أنحاء العالم كافة كي تكون له مصادره المستقلة، وما يحصل هو أن مصادر الوسائل الإعلامية العربية والإسلامية هي وكالات الأنباء الأجنبية التي تقدم لهم الخبر

(١) ياسين، د. صباح، م.س.، ص ١٥٢.

مبستراً وربما مشوهاً أو موجهاً الوجهة التي قد تكون في خدمة مصالحهم. يضاف إلى ذلك أن الغرب الاستعماري قد وظّف الإعلام في خدمة مشاريعه الاستعمارية فكانت الإذاعات ومحطات التلفزة والصحف الناطقة بالعربية وهي تابعة لهم، وأضيف لها مواقع في الشبكة البينية (الانترنت)، من أمثال هذه المحطات: (B.B.C) و (C.N.N.) و (Fox News)، وسلسلة محطات حديثة تحمل اسم "الحرّة" وهي تابعة ومصنوعة... الخ. هذا الإعلام الاستعماري الناطق بالعربية يحتاج إلى معالجة وإلى خطة للتخفيف من مؤثراته السلبية.

كما أنه هناك وسائل إعلامية أنشأها مقاولون بالكلمة ومأجورون يحملون البضاعة الوافدة المسمومة باسم الإعلام العربي والإسلامي، يضاف إلى كل ذلك ضعف الإمكانيات عند وسائل الإعلام الإسلامية والعربية، وذلك يظهر من خلال الاستيراد العشوائي لأفلام وبرامج، وفقرات إعلانية لا تلتزم معايير قيم الإسلام ولا ترعى حرّماته ولا حرّمات الإنسان عموماً.

إن هذا الواقع يزيد الطين بلّة ويعقد الأمور، ومما يزيد في مشكلة التفكك الحاصل على المستويين العربي والإسلامي، أنه لا توجد قراءة واحدة أو متقاربة للأحداث والنوازل، ولا تعتمد معايير قيمة واحدة عندما تأتي تحديات على الأمة.

والمسؤولية في هذا ليست على فرد أو دولة أو مؤسسة، وإنما المسؤولية جماعية، فالكل مسؤول، علماً أن إمكانية المعالجة غير مستعصية سواء من خلال منظمة المؤتمر الإسلامي والمؤسسات التابعة لها وأبرزها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، أو جامعة الدول العربية

ومؤسساتها وأبرزها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، حيث يحتاج الأمر في الإعلام وما يتعلق به إلى وضع استراتيجيات مدروسة تستجيب للتحديات، وتضع الخطط الكافية، وتعمل لامتلاك التقنيات والآليات اللازمة، هذا مع قدر من الاستقلالية والحرية بعيداً من قيود الحكام والحكومات، لكن طبعاً مع مسؤولية وحكمة، كل ذلك تحتاجه المرحلة قبل أن يقدم أحد على حوار حضاري من خلال الإعلام، إذ كيف يكون دور للإعلام الإسلامي والعربي في الحوار الحضاري، وهو غير مجهز ولا جاهز لهذه المهمة؟ ثم كيف يكون الحوار ناجحاً مع الآخر إذا كان لا يعترف بالأمة ديناً وثقافة وحضارة ووجوداً، بل يستيحي أرضها بالاحتلال والاعتصاب والقواعد العسكرية والاقتصادية والإعلامية والثقافية؟

إن العرب والمسلمين بحاجة للكثير في حقل الإعداد والاستعداد والتنسيق من خلال مؤسساتهم الإقليمية السابقة الذكر قبل النزول إلى ساحة الحوار.

أما أن ينبري فرد لينفرد، أو حكومة لتظهر بمظهر المحاور المتحضر، أو مؤسسة، فكل هذا لن يكون له وزن في عالم متلاطم الأمواج، وفي واقع دولي مفتوحة الأطماع فيه على كل الاحتمالات، ويوظفه الاستعماريون والصهاينة في مقدمهم جهودهم لخدمة مصالحهم وأطماعهم، وتبرير احتلالهم للأرض واستباحة المقدسات، وبعدها نشر إعلام هابط ماجن ينشر الرذائل والمفاسد والمخدرات والبدع الخطيرة.

لا يقصد هذا العرض أن يزرع الإحباط، ولا أن يثبط الهمم، وإنما هو قليل من كثير المعاناة عسى أن يكون مع هذه الكلمات رؤية وجدية للتأسيس لواقع أفضل، والكلمة يبقى لها فعلها، وتأثيرها ولو بعد حين.

## توصيات واقتراحات :

إن الإعلام وحركة الحوار الحضاري يحتاجان على المستوى الدولي، ومن المسلمين والعرب خاصة إلى الأمور التالية:

١- كل أمة لها هويتها الثقافية، وبالتالي لها مرجعيتها الفكرية التي توجه الإعلام وغير الإعلام، وبذلك تكون هناك خصوصيات، ومشاركات عامة بين الأمم، وهذه الأخيرة هي القابلة لأن يدور الحوار حولها.

٢- الثقافات خاصة ولها ثوابت وأصول راسخة، والحضارات انجازات، واستجابات لتحديات، وهي عامة قابلة للانتقال، وتصلح لكل مجتمع، وتحتاج عند دخول مجتمع جديد أن تلتزم خصائصه.

٣- يحتاج الإعلام إلى التوظيف في سبيل التعاون بين الأمم، والمقاصد هي كرامة الإنسان وسعادته، وحقوقه. وهذا يعني أن يطرح الإعلام المشترك الإنساني وأن يلتزمه في برامج.

٤- لا يكون الحوار ما لم يوقف الإعلام الغربي ما يدور فيه، وهو إعلام - إلا القليل منه - مشحون بالتهم للمسلمين بأنهم إرهابيون ويستخدم العنصرية ضد كل عربي وإسلامي، كما أنه يستخدم للعرب والمسلمين مفاهيم هي عبارة عن مغالطات وأحقاد تدفع إليها المصالح الاستعمارية، والأطماع التي تتمظهر بالاستعمار الاستيطاني الاحتلالي الصهيوني، والاستعمار الاحتلالي من أجل السيطرة والسلب، وهذا الإعلام يؤسس للتنافر والأحقاد والمواجهات، ولا يوفر أي مناخ للحوار والتلاقي.

٥- تصحيح المصطلحات والمفردات المستخدمة في الإعلام، والتي تحدث التضليل وسوء الفهم، من ذلك: استخدام مفردة انتحار بدل استشهاد، وكلمة إرهاب بدل مقاومة، وإسرائيل بدل فلسطين المحتلة... الخ

٦- يحتاج العرب والمسلمون إلى تغيير ما هم عليه، وإلى امتلاك القوة والقدرات كي يفرضوا أنفسهم أنداداً على موائد الحوار، وكى لا يكونوا محل تهميش أو لقمة للطامعين. وقد قال المفكر محمد عمارة بهذا الشأن ما يلي: "إن الغرب لن يغيّر من تصوّره لنا، وصورته عنّا إلا إذا غيّرنا نحن من وضعنا وثقلنا في موازنات القوى والمصالح والإرادات الدولية... وعندما نكون في الوضع المحترم، سيضطرّ الغرب نخباً وجماهير إلى تغيير تصوراته عنّا... وتلك هي تجربة الغرب مع اليابان والصين... وكذلك تجربته مع صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢هـ - ٥٨٩هـ؛ ١١٣٧م - ١١٩٣م) فلقد أصبح في الثقافة الغربية نموذج البطل الإنساني النبيل لأنه قد أصبح - قبل ذلك - البطل الإنساني والنبيل في ميادين التدافع والصراع." <sup>(١)</sup> فالمعادلة هي: إن الحق بغير القوة ضائع. والناس لا يصغون للضعيف، ولا يقبلون منه شيئاً، وبالمقابل تفرض الأمة نفسها على ساحة العمل الدولي في الإعلام والحوار الحضاري، وتحتل مكانتها اللائقة. أما الساكنون والراكدون بلا حراك ولا حيوية وقدرة فلا يبالي بهم أحدٌ.

وقد قال الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي:

هو الكون حيّ يحبّ الحياة      ويكره الميّت مهما كبر

(١) عمارة، د. محمد، في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط ١، سنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، ص ١٤٢.



٧- إن الحوار الحضاري الجادّ والمجدي يحتاج إعلاماً يتمتع بالصدقية، ويكسب ثقة الأطراف كلها، ويحترم خصائص الأمم وشرائعها، ويكون في رأس قائمة اهتماماته إسعاد الإنسان، ولهذه الغاية يكون هذا الإعلام في خدمة الحق في مواجهة الباطل، ونصرة قيم الخير لمحاربة الشر، ومساندة العدل في مواجهة الجور والظلم.

٨- واجب الإعلام في التمهيد لحوار حضاري أن يتصدى لمعالجة الرواسب التاريخية للنزاع منذ حروب الفرنجة (الحروب الصليبية)، إلى الاستعمار والغزو الأجنبي ضد الأمة العربية والإسلامية، وصولاً إلى معالجة الاغتصاب الصهيوني الاستيطاني الاحتلالي لفلسطين، ويكون ذلك بالانسحاب الكامل من الأرض المحتلة، وإعادتها إلى أصحابها الحقيقيين، وحديثاً سحب المشروع الجديد من خلال إزالة الاحتلال من العراق وأفغانستان، ووقف انتشار السلاح التدميري هنا وهناك، وأن يتوقف التدخل في الشؤون الداخلية للبلدان الإسلامية والعربية وغيرها. كل ذلك لأن الحوار لا يكون مع بقاء هذه الأشكال من العدوان والاحتلال، والدليل ما يلاحظه أي متابع من انتفاء تأثير ما يعقد من مؤتمرات على أرض الواقع وفي ساحات العمل.

٩- أما الإعلام العربي والإسلامي، فإنه يحتاج إلى حركة تصويب وترشيد لما يشاع حول الإسلام من صور مغلوطة. وهذا يقتضي مواجهة ظواهر الغلو في الداخل، وعمليات الافتراء من الخارج، وأن يعمد الإعلام إلى أطروحة إعلامية توحيدية على المستوى الإسلامي، لأنه من غير الواقعي أن يسعى المسلمون لحوار حضاري مع الأمم، والحوار والتلاقي بينهم متوقفان.

١٠- إن الإعلام المؤسس للحوار الحضاري يحتاج إعادة النظر في المادة الإعلامية عند الجميع ، وعندها يكون الأمر بصناعة إعلامية رشيدة لا تطاول فيها على أحد ، ولا عدوان أو اتهام ضد الآخر ، ولا وسيلة تنال من المقدسات والرموز.